المقدمة.

ينتمي برنارد لويس إلى نخبة من المفكرين والباحثين التاريخيين، وقادة الفكر الإستراتيجي في الولايات المتحدة الأمريكية، أمثال صموئيل هنتكتون صاحب نظرية (صدام الحضارات) التي استقاها من مقالة لويس (عودة الإسلام)، وفرانسيس فوكوياما القائل بأطروحة (نهاية التاريخ وخاتم البشر) الذين تبنت أفكارهم ونظرياتهم مجموعة من صناع القرار في واشنطن، خصوصاً من المحافظين الجدد، من أمثال ديك تشيني (نائب الرئيس الأمريكي) وكارل روف (مستشار الرئيس بوش) وشارل بيرل (الرئيس السابق للجنة التخطيط الاستراتيجي في البنتاغون)وبول ولفوويتز(نائب وزير الدفاع الأمريكي السابق) وجيمس ووزلي (المدير السابق لوكالة الاستخبارات المركزية وعضو مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات)وغيرهم.وروجت لها مؤسسات الأبحاث السياسية والإستراتيجية. ونجحت هذه المجموعة ودعاتها والمروجين لأفكارها ومناهجها الفكرية الاستعلائية في أدلجة التنميط لصورة العرب والمسلمين السلبية، وفي إعطائه بعدا" فلسفيا وفكريا عميقا، خاصة بعد أحداث الحادي عشرمن أيلول /2001م.

وسوف أتناول في هذا البحث برنارد لويس المؤرخ البريطاني المولد والأمريكي الجنسية من خلال تناول طروحاته الفكرية التي تدور حول الإسلام والمسلمين ومدى تأثير تلك الطروحات على النخب الاجتماعية الغربية عموما" والسياسية خصوصا"؟وما هو مدى تأثيره على صناع القرار الأمريكي وعلى مجموعة المحافظين الجدد الذي برز نجم نفوذهم السياسي مع أفول الألفية الثانية وبزوغ فجرالألفية الثالثة؟

أولا":سيرته:

برنارد لويس مستشرق يهودي، يعد من أشهر مؤرخي الشرق الأوسط، متخصص بالإسلام وقد كتب أيضا"في تاريخ الإمبراطورية العثمانية والشرق الأوسط.

ولد في لندن في مايو من عام 1916م، لأسرة يهودية أشكنازية، لا تتوفر معلومات عن البلد الذي نزحت منه إلى بريطانيا، وتاريخ ذلك النزوح، فلم يذكر برنارد لويس في سيرته الذاتية المتاحة على موقع جامعة برستون بالشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) شيئا" عن أصول عائلته، ولم يشر إلى طفولته وصباه وتعليمه العام ولكنه اكتفى بالإشارة إلى تعليمه العالي، ولكن التحاقه بجامعة لندن في أوائل الثلاثينيات يوحي بانتمائه إلى أسرة ثرية، وقد حصل على شهادة البكالوريوس بدرجة امتياز في التاريخ من مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن عام 1936م، كما حصل على الدكتوراه في تاريخ الإسلام من نفس المدرسةعام1939م، وكان موضوع رسالته عن الطائفة الإسماعيلية وجماعة الحشاشي، وخلال إعداده لرسالته قضى فترة في جامعة باريس. وقبل حصوله على الدكتوراه بعام واحد، عين مدرسا" مساعدا" في نفس المدرسة التي تخرج منها، غير أنّه ترك العمل بالجامعة خلال سنوات الحرب العالمية الثانية (1940. 1945) ليلتحق بخدمة المخابرات البريطانية وبعد الحرب عاد للعمل بالجامعة حيث عين أستاذا" لتاريخ الشرقين الأدنى والأوسط عام1949حتىعام1974، ولكن صلته بالمخابرات البريطانية لم تنقطع، فقد ظلّ مرجعا" هاما، يستشار في كل ما أتصل بشئون الشرق الأوسط.(1)

وفي عام 1974م سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية كغيره من الأكاديميين الإنكليز الكبار تحت إغراء الأكاديميات الأمريكية بإمكاناتها الضخمة. وكانت تلك الجامعات الكبرى قد جذبت مجموعة من المستعربين والمستشرقين الإنكليز في الستينيات من القرن العشرين، كان من أهمهم هاملتون جب ونيكلسون وعشرات غيرهم من الأخصائيين في الإسلاميات واللغات الشرق أوسطية، وكان لويس من ألمع المؤرخين الذين حطوّا الرّحال في جامعة برنستون . إحدى أهم الجامعات الأمريكية السبع . كأستاذ لدراسات تاريخ الشرق الأدنى،

حيث بقي فيها حتى عام 1986م, حينما تقاعد عن العمل الرسمي لبلوغه سن السبعين ولكنه ظلّ يمارس نشاطه بها أستاذا" فخريا" حتى يومنا الحاضر، وهو مركز لا يشغله إلاّ العلماء البارزون.

يمثل برنارد لويس شخصية دمثة، فهو سهل الأخلاق، لين العريكة، تخرج على يديه الكثير من طلاب الشهادات العالية العرب والمسلمين، الذين يحتفظون عنه بذكريات طيبة، وهو عذب الأسلوب، سلس العبارة، مقنع في إيراد الحجج وتوظيفها، ولا سيما لغير المختصين. وبعد أفول نجم الهيمنة البريطانية في الشرق الأوسط وإسدال الستار على نفوذها في المنطقة، وبروز الولايات المتحدة الأمريكية لتصبح هي الوريث الطبيعي لحماية المصالح الغربية في الشرق الأوسط، وجد برنارد لويس أنّ مكانه الطبيعي هناك، في الولايات المتحدة، حيث مركز صنع القرار الغربي، خاصة" أنّ صهيونية لويس كانت حقيقة راسخة أكدها في كتاباته ومقالاته،وضمن له عداؤه الشديد للشيوعية وسخريته الجارحة بالعرب والإسلام (عدا تركيا) موقعا" في طليعة الحملات المؤيدة لإسرائيل في العقد الأخير من القرن الماضي.[2]

لويس باختصار يعد أحد رموز السياسة الأمريكية الراهنة، وإنّ هناك من يصفه بمانح الشحنات الفكرية للسياسة الأمريكية الحالية تجاه منطقة الشرق الأوسط.[3]

ثالثا": تجربته الفكرية مع الحضارة الإسلامية.

كتب برنارد لويس كثيرا". وتداخل في تاريخ الإسلام والمسلمين، حتى اعتبر في الغرب مرجعا" فيه، فكتب عن الإسماعيليين وأصولهم، وعن الفاطميين، والقرامطة، وكتب في التاريخ الحديث كتابات ليست في مستوى البحوث التي قدمها في الكتابات التاريخية، ذلك أن النزعة الصهيونية التي صرح بها هو ويؤكدها بنفسه سيطرت على كتاباته في التاريخ الحديث، فظهرت أقرب إلى الكتابات الإعلامية منها إلى الكتابات المنهجية. وكتب عن الإسلام والغرب، وعن صدام الحضارات تأسيسا" لما كتبه زميله صموئيل هنتكتون، وكان العنوان الفرعي لهذا الكتاب (المسيحيون والمسلمون واليهود في عصر الاكتشافات)، وكتب عن

الشرق الأوسط: ألفا سنة من التاريخ من فجر المسيحية حتى يومنا هذا، وكتب عن الساميين. ونقل لويس إلى القارىء الثراء المميز للحضارة الإسلامية في عصورها السابقة وصور ترفعها واعتزاز المسلمين بأنفسهم، أمّا دراساته في التاريخ الحديث فقد وضّح الحوار الداخلي للمسلمين وهم يواجهون قيم الغرب وقوته.[4]

سيقبلون بالأمر الواقع ويتعاملون مع اليهود من هذا الواقع وهذه هي النظرة الإعلامية التي وقع فيها لويس في إيجاد البديل، لأنّ من رشحه بديلا" ليس بالضرورة قانعا" في هذا الواقع، إذ تظل تركيا بلدا" مسلما" قادت العالم الإسلامي قرونا" طويلة وحققت امتدادا" لرقعة المسلمين في شرق آسيا وأوربا وهذه أماني وتوقعات غير دقيقة.[5]

إنّ كتاباته تفصح عن علم واسع وانكباب طويل على المصادر التاريخية الأصيلة ممّا أكسبه شهرة كمؤرخ خبير في أي شيء يتعلق بالإسلام، ولكن لا رغبة عنده في ذكر الحقيقة الكاملة عن الإسلام، بل لديه دافع قوي للغاية لإبراز الشوائب والأعشاب الضارة التي ظهرت طوال التاريخ الإسلامي بسبب ولائه للصهيونية لذكر ما يسيء إلى الإسلام والمسلمين.[6]

أفكاره لتي حاول أن يعممّها

تهديد الإسلام للغرب.

ساهم لويس من خلال تأثيره في النخب الثقافية الغربية وفي مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية، في تعزيز وتكثيف الصورة النمطية للإسلام كتهديد للغرب، فالإسلام يعتبره نهاية الحضارة كما يعرفها الغرب،الإسلام ضدالإنسانية ومعاد للساميّة ولاعقلاني. ففي محاضرة . نشرت منقحة في مجلة أتلانتك موثلي سنة 1990 م . بعنوان (

الأصولية الإسلامية) ثمّ عدل العنوان وجعله (جذور الهياج الإسلامي)، يقول في معرض إجابته عن التساؤل: لماذا يمقت غالبية المسلمين الغرب؟ ولماذا لن يكون من السهل التخفيف من مرارتهم تجاهنا؟ (في نظر غالبية الشعوب (العربية والإسلامية) في الشرق الأوسط لم تجلب الأنماط الاقتصادية الغربية لهم سوى الفقر، والنظم السياسية الغربية لم تنتج لهم سوى الدكتاتورية، وأمّا أسلحة الغرب فلم تأت بغير الهزائم .. لقد عانى المسلم من مراحل متتالية من الهزائم. الهزيمة الأولى خسارته لموقع السيادة التاريخية في العالم، في مواجهة روسيا والغرب. والهزيمة الثانية كانت تحجيم سيادته الوطنية عبر اجتياح الأفكار والقوانين وسبل العيش الغربية، وأحيانا" إلى درجة تنصيب الحكام الغرباء وتوطين المستعمرين من غير المسلمين على أرضه. أمّا الهزيمة الثالثة، وهي القشة التي قصمت ظهر البعير، فكانت تحدي سيادته على أسرته من خلال تعميم شعارات تحرر إمرأته أو تثوير أبنائه على أنماط وأساء حياته التقليدية.[7]

2 . مجابهة الإسلام للاستعمار.

العالم الإسلامي تضرر على أعمق ما يكون من جراء التأثيرات الخارجية، ومنها حركة الاستعمار، ولفهم التبدلات التي أدت إليها التأثيرات الخارجية، وردود أفعال الناس الذين تضرروا بها، علينا أن نعود إلى ذلك الزمان الذي سبق ورود الوطأة الهائلة للنفوذ والفكر الغربيين، أي إلى ذلك الزمان الذي كان فيه العالم الإسلامي يتطور وفق موروثات حضارية كان بعضها والحق يقال سبّاقا" على الموروثات الإسلامية، والتي كانت مختلفة تماما" عن موروثات العالم الغربي الحديث.[8]

أمّا اليوم فإنّ المسلمين يحاولون مجابهة الشعور بالإذلال نتيجة حركة الاستعمار التي طالت بلادهم لفترة زمنية طويلة والتي لا تزال تعاني من آثارها لحد الآن بل إنّ البعض من بلدان المسلمين رازخة تحت الاحتلال الغربي، لذا يقف الإسلام في مجابهة أنماط الاستلاب ألللاّ إنساني ومنها الاستعمار في مصر في منتصف القرن الماضي، فيلحظ لويس كيف أنّه

(حين تتجه العواطف الشعبية لمكافحة الكفار، كما وقع في منطقة القنال 1951 . 1952 م،تلاقي استجابة قويّة).[9] ممّا دفع صنّاع القرار السياسي الغربي،ومنهم المحافظون الجدد، إلى إشغال فكرهم في البحث عمّا إذا كان الإسلام، أصوليا"كان أم تقليديا، يشكل تهديدا" للغرب؟!

3 . مستقبل الشرق الأوسط.

يعتبر لويس تحدي الغرب أو تأثيره نقطة فصل بين الشرق الأوسط الحديث والشرق الأوسط لفترة ما قبل الحداثة. فعبر العقدين السابقين سعى بعض المؤرخين إلى تأكيد أنّ الإمبراطورية العثمانية حافظت على حيويتها خلال القرن الثامن عشر بل إنّها بدأت عملية انبعاث في ذلك العهد ، وأنّ هذه المحاولة قد أحبطت في المهد بسبب التوسع الاقتصادي والعسكري لأوربا. إلاّ أن لويس تمسك بالرأي القائل أنّ الانحطاط العثماني كان حقيقيا" وذاتي المنشأ، ولم ينشأ بسبب التفوق المادي للغرب فقط بل بسبب الموقف الإسلامي من التفوق الحضاري الغربي وهو موقف عوّق أية استعارة(من الغرب).وهذه الأفكار تناولها في كتابه(المسلمون يكتشفون أوربا)الصادر في عام 1982م. وفي كتابه (مستقبل الشرق الأوسط) الصادر في عام 1995م، كتب برنارد لويس نبوءاته عن مستقبل المنطقة ودولها وشعوبها في أعتاب القرن الواحد والعشرين. وقد عرض الكتاب لمجمل الطروحات الفكرية والسياسية والاستراتيجية التي كانت حينها على قيد أولويات البحث لدى المحافظون الجدد. وازداد الاهتمام بها بعد أحداث يوم الثلاثاء الحزين . نقصد بها أحداث 11 أيلول وانطلاق الحملة الأمريكية في سياق الحرب الشاملة على الإرهاب.

4 . فشل المسلمين في مواجهة الحداثة.

يؤكد لويس بأنّ سبب فشل المسلمين في مواجهة تحديات الحداثة يعود إلى تمسكهم بأمجاد تاريخهم وموروثهم ممّا يؤدي إلى انسداد الأفق أمام المحدثين في نظرتهم الموضوعية إلى ما تعاني مجتمعاتهم من تخلف، وتمسك الأصوليين بالماضي وأحداثه.

وفي سياق اشتغال على مقولة تخلف المجتمعات العربية عن اللحاق بركب الحداثة، يعود لويس ليستشهد بسيل من إحد التقارير الصادرة عن المؤسسات الدولية التي تبرز وضاعة مركز الدول العربية والإسلامية مقارنة" مع دول العالم على كافة الصعد التنموية والبشرية والاقتصادية والصحية والتربوية والثقافية والتكنولوجية.

ويقول لويس أنّ شعوب الشرق الأوسط على يقين متزايد من حجم الهوة التي تزداد اتساعا" بين الفرص التي يوفرها العالم الحر الغربي والواقع المزري من الفقر والاضطهاد الذي يعانون منه. ردة الفعل الطبيعية هي أولا" ضد الحكام وثانياضد القوى العظمى.(10) لهذا لا يبدو مستغربا" أن يكون أغلب المشاركين في هجمات الحادي عشر من أيلول في نيويورك وواشنطن هم من المملكة العربية السعودية ومصر، أي من الدول التي يعتبر حكامها من أصدقاء الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة (وشكواهم الرئيسية ضدناهي) في نظرهم، أننا مسئولون عن الإبقاء على النظم الاستبدادية التي تحكمهم ومسئولين عن اضطهاد وظلم حكوماتهم لهم).(11) وهذا دليل ساطع . على حد زعم لويس . على عمق المأزق الذي تعاني منه الشعوب العربية والإسلامية.

6. الإسلام هوية وانتماء.

لكن هذه الأفكار التي عرضناها لا تمنع لويس أن يذكر في بعض من كتبه التي كتبها تجاه الإسلام والمسلمين أفكار يوحي من خلالها بأنّ موقفه ليس سلبيا" بشكل دائم تجاه الإسلام أو عدائيا" بل لديه أفكار يريد أن يسوقها لأغراضه الفكرية الخاصة، فممّا كتب بأنّ المسلمين مهما اختلفت قومياتهم وأوطانهم ولغاتهم فإنّهم يشتركون في تاريخ واحد وذكريات وماض مشترك وفي الوعي بهوية واحدة تجعلهم يختلفون عن الغرب الذي يؤلف الوطن والقومية الأساس التاريخي لشخصيته. ففكرة المواطنة ذات الصبغة العرقية أو الإقليمية مستوردة من الغرب.(12)

إنّ الدين الإسلامي وخلال المائة سنة الأولى منه قد اكتمل، وجمعت آثاره الخالدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، بحيث كان هذا الوعاء الزمني يتقابل ووعاءه المكاني للعقيدة من خلال انتشار هذا الدين الواسع بحيث أصبح المرجعية الأولى في العالم آنذاك ومصدر التشريع في المعاملات والنظم في بلاد واسعة من حدود الصين شرقا" حتى أعالي جبال الأندلس غربا". وكان بين هذا الامتداد الجغرافي أناس من أصحاب الديانات السماوية القديمة ومن المجوس وأهل الوثنيات العديدة أناس من مختلف الأجناس والأشكال صار لهم الإسلام مرجعا" أساسيا" في كل نظم حياتهم وبشكل عصري ومتطور وليس بشكل تعسفي.[13] فالإسلام كان ولا يزال يمثل المصدر المقبول الوحيد للقوانين الخاصة والعامة في حياة المسلمين. ولم يتغير هذا الواقع حتى في ظل وقوع معظم البلاد والشعوب الإسلامية تحت احتلال الدول الأوربية لها.

أحد أسباب هذا التميز في الموقف السياسي الإسلامي يعود إلى المستوى العالي من الإيمان والممارسة الدينية لدى المسلمين مقارنة" بأتباع الديانات الأخرى. السبب الآخر والأهم هو أنّ الإسلام ليس طريقة عبادية وحسب، وإنمّا هو أيضا" هوية وانتماء، فبالنسبة إلى الكثير من المسلمين، يمثل الإسلام الهوية والانتماء بحيث يتفوقان على أية هوية أو انتماء آخر ، بعبارة أخرى،(الإسلام لا يزال يعد المعيار الأسمى للهوية في معظم البلدان الإسلامية، فالإسلام هو ما يفصل بين الأنا والآخر، بين الإنسان الداخلي والإنسان الدخيل، بين من هو أخ ومن هو غريب، ومن الجدير بالذكر أنّ الأمة والوطن كانا بالطبع من الحقائق القديمة في العالم الإسلامي، بيد أنهمّا كتعريفين للهوية والمشايعة السياسية ليسا إلاّ تصورين حديثين).[14]

7. عودة الإسلام.

ثمّ يسأل لويس حول عودة الإسلام، ترى ما هي القوة أو الجاذبية التي ينطوي عليها الإسلام كاستحقاق ولاء وإغراء ثوري في آن معا"؟!.ثمّ يجيب بنفسه فيقول:(إنّ الإسلام لا يزال ، بالنسبة للعدد العديد من المسلمين، لا بل بالنسبة لمعظمهم على الأرجح، أكثر أسس

السلطة رضا" وقبولا"، لا بل هو الأساس الوحيد المقبول في حقيقة الأمر إبان الأزمات. فالهيمنة السياسية يمكن المحافظة عليها لفترة من الزمن بالقوة الغاشمة دون سواها، ولكن ليس إلى الأبد ولا فوق مناطق شاسعة ولا إلى فترات زمنية طويلة. وهذه الهيمنة يجب أن يتوفر فيها شيء من الشرعية في نظام الحكم، ولا يمكن أن يتحقق هذا الهدف على أنجع ما يكون، بالنسبة للمسلمين ، إلاّ حين تستمد السلطة الحاكمة شرعيتها من الإسلام، أكثر ممّا تستمدها من مجرد دعاوى قومية أو وطنية أو حتى سلالية، وأقل بكثير من أن تستمدها من أفكار غربية مثتل السيادة الوطنية أو الجماهيرية).[15] لذا نجد اليوم أنّ أغلب النظم السياسية الموجودة في البلدان الإسلامية أو ذات الأغلبية الإسلامية عادوا إلى الإسلام من أجل الحصول كما يشاع،على الشرعية الضرورية لاستمرار بقاء تلك النظم في دولهم.

إذا" ينتهي لويس بتساؤلاته إلى أنّ الإسلام يمتلك قوة عظيمة تجذب الإنسان المسلم إلى إتباع قواعد منهجية وفكرية عقيدية تفوق في قوتها أي قوة أو هيمنة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، لذا كان محتما" على النظم السياسية الحاكمة في الدول الإسلامية. ومن أجل إضفاء الشرعية الدينية عليها . أن لا تحيد في دساتيرها عن كون الإسلام دين الدولة أو أنه مصدر رئيسي من مصادر التشريع.

رابعاّ:أثرأفكارلويس في الواقع السياسي الغربي.

وظفّ برنارد لويس علمه وإمكاناته وفكره لخدمة قضيته (المشروع الصهيوني)، والتي تعتبر قضية المحافظين الجدد، بأبعاده السياسية والثقافية، فتقاطع مع المشروعين الغربي الأوربي في مرحلة ومع المشروع الأمريكي في مراحل. ودون أن نزعم أنّ برنارد لويس لم يكن يتقاطع مع الحقيقة. فهو في منهجه العلمي لا يمكن النيل منه حيث كان يجيد جملة أمور منها.

. الانتقائية حيث يختار من الحقائق ومن السياقات التاريخية، ما يؤيد رؤاه التعميم، التعميم في غير محله حيث يعتبر الجزئية أساسا" ويلغي الكلية، ويعتبر الفرد ويترك الجماعة، ويعتبر الفرق ويضرب عن الأصل. . توظيف

الحقائق، وهو يجيد توظيف الحقائق الصغيرة على نحو يجعلك تعجب ببراعته وقدرته علىالإقناع،ببداهات ومعلومات تنتزع من سياقاتها لتوظف في سياقات أخرى. . موسوعية هائلة في البحث والتقصي لحوادث التاريخ الإسلامي، حيث اختار المناسب منها لفكرتها لمطروحة وقدمه اللقاريء الغرب كمادة ثقافية جدية. ا .

وكصاحب قضية دخل لويس دائما" بآراء مسبقة حاول أن يجد لها في عالم الإسلام والمسلمين شواهدها.[16] إنّ التجربة الفكرية لبرنارد لويس لها أثرها الواضح في الواقع السياسي الأمريكي، كما لها تأثيرها الأوضح على المحافظين الجدد وعلى بعض المسئولين السياسيين الغربيين. فعلى سبيل المثال نجد المفوض الأوربي للسوق الداخلية الهولندي فريتز بولكشتاين يرجع في تصريحاته إلى اطروحات لويس لتدعيم بعض آراءه العنصرية، خاصة" تجاه المسلمين، وهو يعتبر أول مسئول سياسي في هولندا التي اشتهرت بتسامحها، يصرح في بداية التسعينيات بأنّ (... قيم المهاجرين المسلمين تتعارض مع قيم بلاده)، وحول مشروع انضمام تركيا للاتحاد الأوربي يحذر قائلا":((إذا حدث هذا فإنّ تحرير فيينا (يقصد من العثمانيين في سنة 1863م) لم ينفع في شيء .. لقد أوقفناهم عند بواتييه (يقصد معركة بلاط الشهداء التي وقعت في جنوب فرنسا) .. لقد أوقفناهم أمام فيينا .. سنوقفهم مرة" أخرى)). ولتدعيم رؤيته يورد بولكشتاين تحذير برنارد لويس (أوربا ستصبح مسلمة من الآن وإلى نهاية القرن).[17]

إنّ مكانة لويس في الغرب أخذت تتوطد عاما" بعد عام ، لكن موضوعيته ما لبثت أن أخذت بالتكشف شيئا" فشيئا" لأذكياء القراء المتابعين لكتاباته حيث لاحظوا أنّ أعماله منذ أواخر الخمسينيات، وعلى نحو أوسع بعد انتقاله إلى الولايات المتحدة، تخفي وراءها أهدافا" دفينة لخدمة المشروع الصهيوني، والإساءة إلى العرب والمسلمين، وكان كتاب (الاستشراق) للناقد الأدبي والمفكر العربي إدورد سعيد أول ما نبه . بقوة وإقناع . إلى هذه الحقيقة. فلقد هاجم إدورد سعيد (الدراسات الحديثة للإسلام) في دول الغرب، ومنها دراسات لويس، ورأى أنّها ليست سوى وسيلة

للهيمنة الإمبريالية، وزاد على ذلك، فقرر أنّ الاستشراق الذي هو في الواقع شكل من أشكال العنصرية، قد شوّه الإسلام ووصمه بالجمود واللاّعقلانية والعداء الدائم للغرب!!.

ومنذ وصول جورج بوش (الابن) إلى سدة الرئاسة الأمريكية، أصبح برنارد لويس مستشارا" مسموع الرأي ومقرّبا" من المحافظين الجدد، لا سيما منهم ديك تشيني (الموجه الحقيقي للسياسة الأمريكية) وريتشارد بيرل زعيم الصقور الصهيونيين في إدارة بوش وبول ولفويتر، وقد خصه عندما كان مساعدا" لوزير الدفاع، بتحية ذات معنى، خلال حفل تكريمي أقيم للويس في تل أبيب في آذار /2002م، حيث قال:(علمنّا برنارد لويس كيف نفهم التاريخ المعقد والمهم للشرق الأوسط واستخدامه، ليقودنا نحو المرحلة الجدّية من أجل بناء عالم أفضل للأجيال القادمة).[18]

ومن أفكاره التي طرحها في كتابه الأخير (من بابل إلى مترجمي العصورالوسطى) أثار حماسة المحافظين الجدد عندما قال:(إنّه يعتقد أنّ الولايات المتحدة الأمريكية كانت متساهلة جدا" في حرب فيتنام، وأنّ الدكتاتوريات في الشرق الأوسط يجب التخلص منها بالقوّة).

لويس باختصار يعد أحد رموز السياسة الأمريكية الراهنة ، والبعض يصفه بمانح الشحنات الفكرية للسياسة الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط .

الخاتمة .

اتفق مع ادورد سعيد بأنّ برنارد لويس (أكاديمي توهم أعماله بأنّها دراسات منهجية موضوعية بريئة من التعصب، لكنّها في الواقع توشك أن تكون دعاية ضد موضوع تخصصه) أي ضد العرب والمسلمين. وبذلك تحول لويس من شخصية علمية محترمة إلى كاتب سياسي مثير للجدل، وبخاصة بعد أن أصبح شخصية عامة في الولايات المتحدة، وكثرت مقالاته السياسية والصحفية.

لقد تبين من خلال البحث الدور المحوري الذي لعبه لويس في ترسيخ (أو تحويل) السياسة الخارجية للولايات المتحدة من النهج الدبلوماسي أو (الإستعطافي) على حد تعبيره، إلى نهج عدواني متعجرف، وفي تبرير سياسة ازدواج المعاييرالتي تمادى بها الرئيس الأمريكي الحالي ومعاونوه بعد ذلك، في إقناع إدارة الرئيس بوش والرأي العام الأمريكي بأنّ سبب كراهية العرب والمسلمين للولايات المتحدة ليس موقفها المساند ظلما" لإسرائيل أو إلى إرث الغرب الإستعماري، وإنمّا هو شعور المسلمين بالحقد على الحضارة الغربية، لأنّها هزمتهم وأشعرتهم بالمهانة بعد أن كانوا سادة العالم وأنّ الغرب يشكل تهديدا" لأسلوب الحياة الإسلامية بسبب علمانية الغرب وديمقراطيته ومجتمعه الإستهلاكي، محركا" بذلك موضوع صراع الحضارات، ومحولا" بذلك عداء الولايات المتحدة وغيرها من الدول، من بن لادن والمتطرفين إلىعداء شامل للعرب والمسلمين.[19]

كتاباته التي روّج لها الإعلام الغربي، والتي أثبت من خلالها عن قدرة كبيرة وشبه فريدة بين أترابه من المستشرقين المحدثين. كما كشفت كتاباته عن موسوعية هائلة في البحث في التاريخ الإسلامي والعربي. فلقد اختار المناسب منها لفكرته المطروحة والمعالجة، ثمّ قام بتشريحها وتقديمها للقاريء الغربي كمادة ثقافية جذابة، وليس أكاديمية باردة فحسب، وكانت لغته كما ذكرنا مبسطة أو تبسيطية محاكيا" بذلك العقل والغريزة معا" وجامعا" أحداث الحاضر والماضي في حزمة واحدة.

الموصل/2007م

الهوامش.

(1) .عمادالدين خليل،نظرةالغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله، دار النفائس، بيروت م,ص151.

(2) .شبكة المعلومات الدولية، مترجم عن شبكة النبأ المعلوماتية ، 14 / 3 / 2004 م ، ص2.

(3) .شبكة المعلومات الدولية،مجلة العصر، برنارد لويس.. أصداء منحازة لرنين قديم مستهلك، (30 / 6 / 2004 م)، ص3

(4) martinkramerorg . htm . 21/12/2005.p.

(5) .برنارد لويس ، تنبؤات برنارد لويس ، دار رياض الريس ، لندن ، 2000 م،

(6) . جلال أمين، دليل الرجل الذكي إلى التشهير بالمسلمين ، جريدة الحياة،26و2003/7/27م

(7) .خليل الصغير، برنارد لويس بطريرك الإستشراق، مدارات غربية،العدد4 (26/ كانون الأول/م)ص3 .

(8) .خليل الصغير، المصدرالسابق، ص8ص9 .

(9) Bernard Lewis , Time for Toppling ,28/12/2005 , P.4. (ترجمة أ.م صلاح سليم علي).

(10) Bernard Lewwis , The Arabs in History . London :Huiversity Library Ist Ed . 1950 , P . 39 .

(11) .عبد الرؤوف عبد العزيز الجردادي ، الإرهاب ، أسبابه وعلم الاجتماع الديني، الكويت، (د.د). 1988م ، ص217 .

(12). سالم مطر السبعاوي ، الإرهاب والتوظيف الإعلامي الأمريكي تجاه العرب والمسلمين ، (رسالة ماجستير غير منشورة) الجامعة المستنصرية / المعهد العالي للدراسات السياسية الدولية ، 2003 م ، ص16 .

(13).برنارد لويس ، لغة الإسلام السياسي ، ترجمة عبد الكريم محفوض ، دار جفرا للدراسات والنشردمشق ، 2001 ، ص15ص16 .

(14). المصدر نفسه، ص12 .

(15).برنارد لويس، أزمة الإسلام،WWW . ashargalarabi . U K . p.3.

(16).شبكة المعلومات الدولية، إسلام أون لاين، موقع الإمام الشيرازي،ص1.

(17).الآن غريش, برنارد لويس وجينة الإسلام، جريدة اللوموند في2004/9/10م،نقلاّعن شبكة المعلومات الدولية.

(18).المصدر نفسه.

(19).حمدي السكوت، برنارد لويس عام المحافظين الجدد،العربي،العدد أيار2005،ص21.